**الرَّوَائِحُ الزَّكِيَّةُ**

**فِى**

**مَوْلِدِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ**

**مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ**

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِى أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِبِعْثَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلَهُ سِرَاجًا وَإِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الأَنْبِيَاءِ الْحَاشِرِ الْعَاقِبِ الأَمِينِ وَعَلَى ءَالِهِ وَصَحَابَتِهِ الطَّيِّبِينَ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ كَرَّمَ النَّبِىَّ مُحَمَّدًا وَكَرَّمَ أُمَّتَهُ وَرَفَعَ قَدْرَهَا فَوْقَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ قَالَ تَعَالَى ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [سُورَةَ ءَالِ عِمْرَان/110] وَمَا ارْتَفَعَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ إِلَّا بِنَبِيِّهَا وَمَا شَرُفَتْ إِلَّا بِهِ لِذَلِكَ كَانَ الِاعْتِنْاءُ بِبَيَانِ مَوْلِدِ هَذَا النَّبِىِّ الْكَرِيمِ وَمَا ظَهَرَ مِنَ الآيَاتِ عِنْدَ ذَلِكَ وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَالشَّمَائِلِ مِنْ مُهِمَّاتِ الأُمُورِ إِذْ يَزْدَادُ الْمُؤْمِنُ بِذَلِكَ تَعْظِيمًا وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا كَانَ أَغْلَبُ مَا خُصِّصَ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ لِلْمَوْلِدِ مُشْتَمِلًا عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الضَّعِيفِ بَلْ وَيَحْوِى أَحْيَانًا الْمَوْضُوعَ صَنَّفْنَا هَذَا الْكِتَابَ مُسْتَخْرَجًا مِنْ كُتُبِ السُّنَّةِ فَجَاءَ فِيهِ زُبْدَةَ الْمَرْوِيَّاتِ فِى مَشْهُورِ مُصَنَّفَاتِ الأَئِمَّةِ الْحُفَّاظِ طَلَبًا لِلأَجْرِ وَرَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

**فَصْلٌ فِى تَحْقِيقِ مَعْنَى الْبِدْعَةِ وَحُكْمِهَا**

اعْلَمْ أَنَّ الْبِدْعَةَ لُغَةً مَا أُحْدِثَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ يُقَالُ جِئْتُ بِأَمْرٍ بَدِيعٍ أَىْ مُحْدَثٍ عَجِيبٍ لَمْ يُعْرَفْ قَبْلَ ذَلِكَ. وَفِى الشَّرْعِ الْمُحْدَثُ الَّذِى لَمْ يَنُصَّ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ وَلا جَاءَ فِى السُّنَّةِ قَالَ ابْنُ الْعَرَبِىِّ «**لَيْسَتِ الْبِدْعَةُ وَالْمُحْدَثُ مَذْمُومَيْنِ لِلَّفْظِ بِدْعَةٍ وَمُحْدَثٍ وَلا مَعْنَيَيْهِمَا وَإِنَّمَا يُذَمُّ مِنَ الْبِدْعَةِ مَا يُخَالِفُ السُّنَّةَ وَيُذَمُّ مِنَ الْمُحْدَثَاتِ مَا دَعَا إِلَى الضَّلالَةِ**» اهـ.

**أَقْسَامُ الْبِدْعَةِ**

وَالْبِدْعَةُ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ

**بِدْعَةُ ضَلالَةٍ** وَهِىَ الْمُحْدَثَةُ الْمُخَالِفَةُ لِلْقُرْءَانِ وَالسُّنَّةِ.

**وَبِدْعَةُ هُدًى** وَهِىَ الْمُحْدَثَةُ الْمُوَافِقَةُ لِلْقُرْءَانِ وَالسُّنَّةِ.

وَهَذَا التَّقْسِيمُ مَفْهُومٌ مِنْ حَدِيثِ الْبُخَارِىِّ وَمُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ بِلَفْظٍ ءَاخَرَ وَهُوَ «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» فَأَفْهَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ «**مَا لَيْسَ مِنْهُ**» أَنَّ الْمُحْدَثَ إِنَّمَا يَكُونُ رَدًّا أَىْ مَرْدُودًا إِذَا كَانَ عَلَى خِلافِ الشَّرِيعَةِ وَأَنَّ الْمُحْدَثَ الْمُوَافِقَ لِلشَّرِيعَةِ لَيْسَ مَرْدُودًا.

وَهُوَ مَفْهُومٌ أَيْضًا مِمَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِى صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِىِّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَىْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِى الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَىْءٌ**».

وَفِى صَحِيحِ الْبُخَارِىِّ فِى كِتَابِ صَلاةِ التَّرَاوِيحِ مَا نَصُّهُ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ «فَتُوُفِّىَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ عَلَى ذَلِكَ» قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ «أَىْ عَلَى تَرْكِ الْجَمَاعَةِ فِى التَّرَاوِيحِ» ثُمَّ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ فِى تِتِمَّةِ كَلامِهِ «ثُمَّ كَانَ الأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ فِى خِلافَةِ أَبِى بَكْرٍ وَصَدْرًا مِنْ خِلافَةِ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ».

وَفِيهِ أَيْضًا تَتْمِيمًا لِهَذِهِ الْحَادِثَةِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ عبدِ الْقَارِىِّ أَنَّهُ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْلَةً فِى رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّى الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ وَيُصَلِّى الرَّجُلُ فَيُصَلِّى بِصَلاتِهِ الرَّهْطُ فَقَالَ عُمَرُ إِنِّى أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبِىِّ بنِ كَعْبٍ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاةِ قَارِئِهِمْ قَالَ عُمَرُ «**نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ**» اهـ. وَفِى الْمُوَطَّإِ بِلَفْظِ «**نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ**».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ «قَوْلُهُ قَالَ عُمَرُ نِعْمَ الْبِدْعَةُ فِى بَعْضِ الرِّوَايَاتِ نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ بِزِيَادَةِ التَّاءِ وَالْبِدْعَةُ أَصْلُهَا مَا أُحْدِثَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ وَتُطْلَقُ فِى الشَّرْعِ فِى مُقَابِلِ السُّنَّةِ فَتَكُونُ مَذْمُومَةً وَالتَّحْقِيقُ إِنْ كَانَتْ مِمَّا تَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسْتَحْسَنٍ فِى الشَّرْعِ فَهِىَ حَسَنَةٌ وَإِنْ كَانَتْ مِمَّا تَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسْتَقْبَحٍ فِى الشَّرْعِ فَهِىَ مُسْتَقْبَحَةٌ وَإِلَّا فَهِىَ مِنْ قِسْمِ الْمُبَاحِ وَقَدْ تَنْقَسِمُ إِلَى الأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ» اهـ وَمُرَادُهُ بِالأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ الْفَرْضُ وَالْمَنْدُوبُ وَالْمُبَاحُ وَالْمَكْرُوهُ وَالْحَرَامُ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِىُّ فِى صَحِيحِهِ عَنْ رِفَاعَةَ بنِ رَافِعٍ الزَّرْقِىِّ قَالَ كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّى وَرَاءَ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ «**مَنِ الْمُتَكَلِّم**» قَالَ أَنَا قَالَ«**رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِى الْفَتْحِ فِى شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ «وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى جَوَازِ إِحْدَاثِ ذِكْرٍ فِى الصَّلاةِ غَيْرِ مَأْثُورٍ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُخَالِفٍ لِلْمَأْثُورِ» اهـ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَزِيدُ فِى التَّشَهُّدِ «**وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ**» وَيَقُولُ «**أَنَا زِدْتُهَا**» اهـ.

وَقَالَ النَّوَوِىُّ فِى كِتَابِ تَهْذِيبِ الأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ مَا نَصُّهُ «الْبِدْعَةُ بِكَسْرِ الْبَاءِ فِى الشَّرْعِ هِىَ إِحْدَاثُ مَا لَمْ يَكُنْ فِى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَءَالِهِ وَسَلَّمَ وَهِىَ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى حَسَنَةٍ وَقَبِيحَةٍ. قَالَ الإِمَامُ الشَّيْخُ الْمُجْمَعُ عَلَى إِمَامَتِهِ وَجَلالَتِهِ وَتَمَكُّنِهِ فِى أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَبَرَاعَتِهِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِىَ عَنْهُ فِى ءَاخِرِ كِتَابِ الْقَوَاعِدِ الْبِدْعَةُ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى وَاجِبَةٍ وَمُحَرَّمَةٍ وَمَنْدُوبَةٍ وَمَكْرُوهَةٍ وَمُبَاحَةٍ، قَالَ وَالطَّرِيقُ فِى ذَلِكَ أَنْ تُعْرَضَ الْبِدْعَةُ عَلَى قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ فَإِنْ دَخَلَتْ فِى قَوَاعِدِ الإِيجَابِ فَهِىَ وَاجِبَةٌ [**قَاعِدَةٌ** مَا لا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ] أَوْ فِى قَوَاعِدِ التَّحْرِيمِ فَمُحَرَّمَةٌ أَوِ النَّدْبِ فَمَنْدُوبَةٌ أَوِ الْمَكْرُوهِ فَمَكْرُوهَةٌ أَوِ الْمُبَاحِ فَمُبَاحَةٌ» انْتَهَى كَلامُ النَّوَوِىِّ.

وَقَالَ ابْنُ عَابِدِينَ فِى رَدِّ الْمُحْتَارِ مَا نَصُّهُ «فَقَدْ تَكُونُ الْبِدْعَةُ وَاجِبَةً كَنَصْبِ الأَدِلَّةِ لِلرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ وَتَعَلُّمِ النَّحْوِ الْمُفْهِمِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَنْدُوبَةً كَإِحْدَاثِ نَحْوِ رِبَاطٍ [وَهُوَ الَّذِى يُبْنَى لِلْفُقَرَاءِ] وَمَدْرَسَةٍ وَكُلِّ إِحْسَانٍ لَمْ يَكُنْ فِى الصَّدْرِ الأَوَّلِ وَمَكْرُوهَةً كَزَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ وَمُبَاحَةً كَالتَّوَسُّعِ بِلَذِيذِ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالثِّيَابِ» اهـ. وَكَذَلِكَ الأَكْلُ بِالْمَلاعِقِ فَإِنَّهُ فِى أَيَّامِ الصَّحَابَةِ مَا كَانُوا يَأْكُلُونَ بِهَا وَكَانُوا يَأْكُلُونَ عَلَى الأَرْضِ مَا كَانُوا يَأْكُلُونَ قَاعِدِينَ عَلَى الْكَرَاسِى وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ الْبِدَعِ الْمُبَاحَةِ.

وَقَالَ النَّوَوِىُّ فِى رَوْضَةِ الطَّالِبِينَ فِى دُعَاءِ الْقُنُوتِ مَا نَصُّهُ «هَذَا هُوَ الْمَرْوِىُّ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَادَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ قَبْلَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ وَبَعْدَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا قَضَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ قُلْتُ قَالَ أَصْحَابُنَا لا بَأْسَ بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ وَقَالَ أَبُو حَامِدٍ وَالْبَنْدَنِيجِىُّ وَءَاخَرُونَ مُسْتَحَبَّةٌ» انْتَهَى كَلامُ النَّوَوِىِّ.

وَرَوَى الْحَافِظُ الْبَيْهَقِىُّ بِإِسْنَادِهِ فِى مَنَاقِبِ الشَّافِعِىِّ عَنِ الشَّافِعِىِّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «الْمُحْدَثَاتُ مِنَ الأُمُورِ ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا مَا أُحْدِثَ مِمَّا يُخَالِفُ كِتَابًا أَوْ سُنَّةً أَوْ أَثَرًا أَوْ إِجْمَاعًا فَهَذِهِ الْبِدْعَةُ الضَّلالَةُ وَالثَّانِيَةُ مَا أُحْدِثَ مِنَ الْخَيْرِ لا خِلافَ فِيهِ لِوَاحِدٍ مِنْ هَذَا وَهَذِهِ مُحْدَثَةٌ غَيْرُ مَذْمُومَةٍ» اهـ.

**مِنَ الْبِدَعِ الْمُسْتَحَبَّةِ**

* الرَّهْبَانِيَّةُ الَّتِى ابْتَدَعَهَا أَتْبَاعُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلامُ

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِى كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ﴿**وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ**﴾ [سُورَةَ الْحَدِيد] فَهَذِهِ الآيَةُ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْبِدْعَةِ الْحَسَنَةِ لِأَنَّ مَعْنَاهَا مَدْحُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أُمَّةِ عِيسَى الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِالإِيـمَانِ وَالتَّوْحِيدِ فَاللَّهُ تَعَالَى مَدَحَهُمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ وَلِأَنَّهُمُ ابْتَدَعُوا رَهْبَانِيَّةً وَالرَّهْبَانِيَّةُ هِىَ الِانْقِطَاعُ عَنِ الشَّهَوَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ انْقَطَعُوا عَنِ الزِّوَاجِ رَغْبَةً فِى تَجَرُّدِهِمْ لِلْعِبَادَةِ فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**﴾ أَىْ نَحْنُ مَا فَرَضْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِنَّمَا هُمْ أَرَادُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ فَاللَّهُ تَعَالَى مَدَحَهُمْ عَلَى مَا ابْتَدَعُوا مِمَّا لَمْ يَنُصَّ لَهُمْ عَلَيْهِ فِى الإِنْجِيلِ وَلا قَالَ لَهُمُ الْمَسِيحُ بِنَصٍّ مِنْهُ إِنَّمَا هُمْ أَرَادُوا الْمُبَالَغَةَ فِى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّجَرُّدَ بِتَرْكِ الِانْشِغَالِ بِالزِّوَاجِ وَنَفَقَةِ الزَّوْجَةِ وَالأَهْلِ فَكَانُوا يَبْنُونَ الصَّوَامِعَ أَىْ بُيُوتًا خَفِيفَةً مِنْ طِينٍ أَوْ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمُنْعَزِلَةِ عَنِ الْبَلَدِ لِيَتَجَرَّدُوا لِلْعِبَادَةِ.

* **سَنُّ خُبَيْبٍ رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ**

وَمِنْهَا إِحْدَاثُ خُبَيْبِ بنِ عَدِىٍّ رَكْعَتَيْنِ عِنْدَمَا قُدِّمَ لِلْقَتْلِ كَمَا رَوَى ذَلِكَ الْبُخَارِىُّ فِى صَحِيحِهِ قَالَ مَا نَصُّهُ «حَدَّثَنِى إِبْرَاهِيمُ بنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَامُ بنُ يُوسُفَ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِىِّ عَنْ عُمَرِو بنِ أَبِى سُفْيَانَ الثَّقَفِىِّ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً عَيْنًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بنَ ثَابِتٍ وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ ابْنِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَىٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ فَاقْتَصُّوا ءَاثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ فَتَبِعُوا ءَاثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ [فَدْفَدٌ مَفَازَةٌ مَوْضِعٌ مُهْلِكٌ أَرْضٌ فَلاةٌ] وَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ فَقَالُوا لَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لا نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا فَقَالَ عَاصِمٌ أَمَّا أَنَا فَلا أَنْزِلُ فِى ذِمَّةِ كَافِرٍ اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِى سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ وَبَقِىَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ ءَاخَرُ فَأَعْطَوْهُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ فَلَمَّا أَعْطَوْهُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِى مَعَهُمَا هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرُّروهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بنِ عَامِرِ بنِ نَوْفَلٍ وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ اسْتَعَارَ مُوسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ قَالَتْ فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِىٍّ لِى فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذَاكَ مِنِّى وَفِى يَدِهِ الْمُوسَى فَقَالَ أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَكَانَتْ تَقُولُ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ وَإِنَّهُ لَمُوَثَّقٌ فِى الْحَدِيدِ وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقًا رَزَقَهُ اللَّهُ، فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ دَعُونِى أُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَوْلا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِى جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَزِدْتُ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ احْصِهِمْ عَدَدًا ثُمَّ قَالَ **فَلَسْتُ أُبَالِى حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَىِّ شَقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِى**

**وَذَلِكَ فِى ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ**

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَىْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَىْءٍ» اهـ.

* **نَقْطُ يَحْيَى بنِ يَعْمَرَ الْمَصَاحِفَ**

وَمِنْهَا نَقْطُ الْمَصَاحِفِ وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ كَتَبُوا الْوَحْىَ الَّذِى أَمْلاهُ عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ يَكْتُبُونَ الْبَاءَ وَالتَّاءَ وَنَحْوَهُمَا بِلا نَقْطٍ وَكَذَا عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ لَمَّا كَتَبَ سِتَّةَ مَصَاحِفَ وَأَرْسَلَ بِبَعْضِهَا إِلَى الآفَاقِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمَكَّةَ وَغَيْرِهِمَا وَاسْتَبْقَى عِنْدَهُ نُسْخَةً كَانَ غَيْرَ مَنْقُوطٍ وَإِنَّمَا أَوَّلُ مَنْ نَقَطَ الْمَصَاحِفَ رَجُلٌ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالتَّقْوَى يُقَالُ لَهُ يَحْيَى بنُ يَعْمَرَ. رَوَى ابْنُ أَبِي دَاوُدَ السَّجَسْتَانِىُّ فِى كِتَابِهِ الْمَصَاحِف قَالَ «حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِىُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ نَصْرِ بنِ مَالِكٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بنُ الْوَلِيدِ عَنْ هَارُونَ ابْنِ مُوسَى قَالَ «**أَوَّلُ مَنْ نَقَطَ الْمَصَاحِفَ يَحْيَى بنُ يَعْمَرَ**» اهـ. وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُكْتَبُ بِلا نَقْطٍ فَلَمَّا فَعَلَ هَذَا لَمْ يُنْكِرِ الْعُلَمَاءُ عَلَيْهِ ذَلِكَ مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ مَا أَمَرَ بِنَقْطِ الْمُصْحَفِ.

* **زِيَادَةُ عُثْمَانَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَذَانًا ثَانِيًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ**

وَهَذِهِ بِدْعَةٌ أَحْدَثَهَا عُثْمَانُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ فَفِى صَحِيحِ الْبُخَارِىِّ مَا نَصُّهُ «حَدَّثَنَا ءَادَمُ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِى ذِئْبٍ عَنِ الزُّهْرِىِّ عَنِ السَّائِبِ بنِ يَزِيدٍ قَالَ «كَانَ النِّدَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ عَلَى عَهْدِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَثُرَ النَّاسُ زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ عَلَى الزَّوْرَاءِ» [وَالزَّوْرَاءُ مَكَانٌ بِالْمَدِينَةِ].

قَالَ الْحَافِظُ فِى الْفَتْحِ مَا نَصُّهُ «وَلَهُ فِى رِوَايَةِ وَكِيعٍ عَنِ ابْنِ أَبِى ذِئْبٍ كَانَ الأَذَانُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ أَذَانَيْنِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، قَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ قَوْلُهُ «أَذَانَيْنِ» يُرِيدُ الأَذَانَ وَالإِقَامَةَ، يَعْنِى تَغْلِيبًا أَوْ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِى الإِعْلامِ كَمَا تَقَدَّمَ فِى أَبْوَابِ الأَذَانِ» اهـ.

ثُمَّ يَقُولُ قَوْلُهُ «زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ» فِى رِوَايَةِ وَكِيعٍ عَنِ ابْنِ أَبِى ذِئْبٍ فَأَمَرَ عُثْمَانُ بِالأَذَانِ الأَوَّلِ، وَنَحْوُهُ لِلشَّافِعِىِّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَلا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا لِأَنَّهُ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ مَزِيدًا يُسَمَّى ثَالِثًا وَبِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ جُعِلَ مُقَدَّمًا عَلَى الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ يُسَمَّى أَوَّلًا، وَلَفْظُ رِوَايَةِ عُقَيْلٍ الآتِيَةِ بَعْدَ بَابَيْنِ «أَنَّ التَّأْذِينَ بِالثَّانِى أَمَرَ بِهِ عُثْمَانُ» وَتَسْمِيَتُهُ ثَانِيًا أَيْضًا مُتَوَجِّهٌ بِالنَّظَرِ إِلَى الأَذَانِ الْحَقِيقِىِّ لا الإِقَامَةِ اهـ.

* **الِاحْتِفَالُ بِمَوْلِدِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

وَسَيَأْتِى الْكَلامُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِى فَصْلٍ خَاصٍّ.

* **الْجَهْرُ بِالصَّلاةِ عَلَى النَّبِىِّ بَعْدَ الأَذَانِ**

وَمِنْهَا الْجَهْرُ بِالصَّلاةِ عَلَى النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الأَذَانِ وَحَدَثَ هَذَا بَعْدَ سَنَةِ سَبْعِمِائَةٍ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ لا يَجْهَرُونَ بِهَا.

* **كِتَابَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ كِتَابَةِ اسْمِ النَّبِىِّ**

وَمِنْهَا كِتَابَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ كِتَابَةِ اسْمِهِ وَلَمْ يَكْتُبِ النَّبِىُّ ذَلِكَ فِى رَسَائِلِهِ الَّتِى أَرْسَلَ بِهَا إِلَى الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ وَإِنَّمَا كَانَ يَكْتُبُ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى فُلانٍ.

* **الطُّرُقُ الَّتِى أَحْدَثَهَا بَعْضُ الصَّالِحِينَ**

وَمِنْهَا الطُّرُقُ الَّتِى أَحْدَثَهَا بَعْضُ أَهْلِ اللَّهِ كَالرِّفَاعِيَّةِ وَالْقَادِرِيَّةِ وَغَيْرِهِمَا وَهِىَ نَحْوُ أَرْبَعِينَ طَرِيقَةً فَهَذِهِ الطُّرُقُ أَصْلُهَا بِدَعٌ حَسَنَةٌ وَلَكِنْ شَذَّ بَعْضُ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهَا وَهَذَا لا يَقْدَحُ فِى أَصْلِهَا.

**بِدْعَةُ الضَّلالَةِ**

وَهِىَ عَلَى نَوْعَيْنِ بِدْعَةٌ تَتَعَلَّقُ بِأُصُولِ الدِّينِ وَبِدْعَةٌ تَتَعَلَّقُ بِفُرُوعِهِ.

فَأَمَّا الْبِدْعَةُ الَّتِى تَتَعَلَّقُ بِأُصُولِ الدِّينِ فَهِىَ الَّتِى حَدَثَتْ فِى الْعَقَائِدِ وَهِىَ مُخَالِفَةٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِى الْمُعْتَقَدِ وَأَمْثِلَتُهَا كَثِيرَةٌ مِنْهَا

* **بِدْعَةُ إِنْكَارِ الْقَدَرِ** وَأَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَهَا مَعْبَدُ الْجُهَنِىُّ بِالْبَصْرَةِ كَمَا فِى صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ يَحْيَى بنِ يَعْمَرَ وَيُسَمَّى هَؤُلاءِ الْقَدَرِيَّةَ فَيَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُقَدِّرْ أَفْعَالَ الْعِبَادِ الِاخْتِيَارِيَّةَ وَلَمْ يَخْلُقْهَا وَإِنَّمَا هِىَ بِخَلْقِ الْعِبَادِ بِزَعْمِهِمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ الْخَيْرَ وَلَمْ يُقَدِّرِ الشَّرَّ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْمُرْتَكِبَ لِلْكَبِيرَةِ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلا كَافِرٍ بَلْ هُوَ فِى مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ وَيُنْكِرُونَ الشَّفَاعَةَ فِى الْعُصَاةِ وَرُؤْيَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِى الآخِرَةِ.
* **بِدْعَةُ الْجَهْمِيَّةِ** وَيُسَمَوْنَ الْجَبْرِيَّةَ أَتْبَاعَ جَهْمِ بنِ صَفْوَانَ يَقُولُونَ إِنَّ الْعَبْدَ مَجْبُورٌ فِى أَفْعَالِهِ لا اخْتِيَارَ لَهُ وَإِنَّمَا هُوَ كَالرِّيشَةِ الْمُعَلَّقَةِ فِى الْهَوَاءِ يَأْخُذُهَا الْهَوَاءُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً.
* **بِدْعَةُ الْخَوَارِجِ** الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى سَيِّدِنَا عَلِىٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيُكَفِّرُونَ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ.
* **بِدْعَةُ الْقَوْلِ بِحَوَادِثَ لا أَوَّلَ لَهَا وَهِىَ مُخَالِفَةٌ لِصَرِيحِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ**.

وَأَمَّا الْبِدْعَةُ الَّتِى تَتَعَلَّقُ بِالْفُرُوعِ فَهِىَ الْمُنْقَسِمَةُ التَّقْسِيمَ الْمَذْكُورَ ءَانِفًا.

**وَمِنَ الْبِدَعِ السَّيِّئَةِ الْعَمَلِيَّةِ**

* كِتَابَةُ ص عِنْدَ كِتَابَةِ اسْمِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ نَصَّ الْمُحَدِّثُونَ فِى كُتُبِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ كِتَابَةَ الصَّادِ مُجَرَّدَةً مَكْرُوهٌ وَأَسْوَأُ مِنْهُ وَأَقْبَحُ صَلْعَمْ.
* وَمِنْهَا تَيَمُّمُ بَعْضِ النَّاسِ عَلَى السَّجَّادِ وَالْوَسَائِدِ الَّتِى لَيْسَ عَلَيْهَا غُبَارُ التُّرَابِ.
* وَمِنْهَا تَحْرِيفُ اسْمِ اللَّهِ كَمَا يَحْصُلُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الطُّرُقِ فَإِنَّ بَعْضَهُمْ يَبْدَءُونَ بِـ«اللَّه» ثُمَّ إِمَّا أَنْ يَحْذِفُوا الأَلِفَ الَّتِى بَيْنَ اللَّامِ وَالْهَاءِ فَيَنْطِقُونَ بِهَا بِلا مَدٍّ وَإِمَّا أَنْ يَحْذِفُوا الْهَاءَ نَفْسَهَا فَيَقُولُونَ اللَّا وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ءَاه وَهُوَ لَفْظٌ مَوْضُوعٌ لِلتَّوَجُّعِ وَالشِّكَايَةِ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ اللُّغَةِ قَالَ الْخَلِيلُ بنُ أَحْمَدَ لا يَجُوزُ حَذْفُ أَلِفِ الْمَدِّ مِنْ كَلِمَةِ اللَّه.

فَإِنْ قِيلَ أَلَيْسَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنِ الْعِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**» فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَفْظُهُ عَامٌّ وَمَعْنَاهُ مَخْصُوصٌ بِدَلِيلِ الأَحَادِيثِ السَّابِقِ ذِكْرُهَا فَيُقَالُ إِنَّ مُرَادَ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أُحْدِثَ عَلَى خِلافِ الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ أَوِ الإِجْمَاعِ أَوِ الأَثَرِ.

قَالَ النَّوَوِىُّ فِى شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ مَا نَصُّهُ «قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ** هَذَا عَامٌّ مَخْصُوصٌ وَالْمُرَادُ بِهِ غَالِبُ الْبِدَعِ» اهـ. ثُمَّ قَسَّمَ الْبِدْعَةَ إِلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ وَاجِبَةٍ وَمَنْدُوبَةٍ وَمُحَرَّمَةٍ وَمَكْرُوهَةٍ وَمُبَاحَةٍ وَقَالَ «فَإِذَا عُرِفَ مَا ذَكَرْتُهُ عُلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ وَكَذَا مَا أَشْبَهَهُ مِنَ الأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْنَاهُ قَوْلُ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ فِى التَّرَاوِيحِ «**نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ**» وَلا يَمْنَعُ مِنْ كَوْنِ الْحَدِيثِ عَامًّا مَخْصُوصًا قَوْلُهُ «**كُلَّ بِدْعَةٍ**» مُؤَكَّدًا بِكُلِّ بَلْ يَدْخُلُهُ التَّخْصِيصُ مَعَ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ**﴾ [سُورَةَ الأَحْقَاف/25]» اهـ.

وَهَذَا التَّقْسِيمُ ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ فِى ءَاخِرِ كِتَابِ الْقَوَاعِدِ مَعَ شَىْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ وَنَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِى الْفَتْحِ وَسَلَّمَهُ.

**فَصْلٌ فِى الِاحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ وَذِكْرِ أَدِلَّةِ جَوَازِهِ**

مِنَ الْبِدَعِ الْحَسَنَةِ الِاحْتِفَالُ بِمَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذَا الْعَمَلُ لَمْ يَكُنْ فِى عَهْدِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلا فِيمَا يَلِيهِ إِنَّمَا أُحْدِثَ فِى أَوَائِلِ الْقَرْنِ السَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ وَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَهُ مَلِكُ إِرْبِلَ وَكَانَ عَالِمًا تَقِيًّا شُجَاعًا يُقَالُ لَهُ الْمُظَفَّرُ. جَمَعَ لِهَذَا كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ فِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالصُّوفِيَّةِ الصَّادِقِينَ فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ الْعَمَلَ الْعُلَمَاءُ فِى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا مِنْهُمُ الْحَافِظُ أَحْمَدُ بنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلانِىُّ وَتِلْمِيذُهُ الْحَافِظُ السَّخَاوِىُّ وَكَذَلِكَ الْحَافِظُ السُّيُوطِىُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَذَكَرَ الْحَافِظُ السَّخَاوِىُّ فِى فَتَاوِيهِ أَنَّ عَمَلَ الْمَوْلِدِ حَدَثَ بَعْدَ الْقُرُونِ الثَّلاثَةِ ثُمَّ لا زَالَ أَهْلُ الإِسْلامِ مِنْ سَائِرِ الأَقْطَارِ فِى الْمُدُنِ الْكِبَارِ يَعْمَلُونَ الْمَوْلِدَ وَيَتَصَدَّقُونَ فِى لَيَالِيهِ بِأَنْوَاعِ الصَّدَقَاتِ وَيَعْتَنُونَ بِقِرَاءَةِ مَوْلِدِهِ الْكَرِيمِ وَيَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَرَكَاتِهِ كُلُّ فَضْلٍ عَمِيمٍ.

وَلِلْحَافِظِ السُّيُوطِىِّ رِسَالَةٌ سَمَّاهَا حُسْنَ الْمَقْصِدِ فِى عَمَلِ الْمَوْلِدِ قَالَ «فَقَدْ وَقَعَ السُّؤَالُ عَنْ عَمَلِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِىِّ فِى شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مَا حُكْمُهُ مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ وَهَلْ هُوَ مَحْمُودٌ أَوْ مَذْمُومٌ وَهَلْ يُثَابُ فَاعِلُهُ أَوْ لا وَالْجَوَابُ عِنْدِى أَنَّ أَصْلَ عَمَلِ الْمَوْلِدِ الَّذِى هُوَ اجْتِمَاعُ النَّاسِ وَقِرَاءَةُ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ وَرِوَايَةُ الأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِى مَبْدَإِ أَمْرِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا وَقَعَ فِى مَوْلِدِهِ مِنَ الآيَاتِ ثُمَّ يُمَدُّ لَهُمْ سِمَاطٌ [وَهُوَ شَىْءٌ يُوضَعُ عَلَيْهِ الطَّعَامُ] يَأْكُلُونَهُ وَيَنْصَرِفُونَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ عَلَى ذَلِكَ هُوَ مِنَ الْبِدَعِ الْحَسَنَةِ الَّتِى يُثَابُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا لِمَا فِيهِ مِنْ تَعْظِيمِ قَدْرِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِظْهَارِ الْفَرَحِ وَالِاسْتِبْشَارِ بِمَوْلِدِهِ الشَّرِيفِ. وَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ فِعْلَ ذَلِكَ صَاحِبُ إِرْبِل الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ أَبُو سَعِيدٍ كَوْكَبْرِى بنُ زَيْنِ الدِّينِ عَلِىُّ بنُ بَكْتَكِين أَحَدُ الْمُلُوكِ الأَمْجَادِ وَالْكُبَرَاءِ الأَجْوَادِ وَكَانَ لَهُ ءَاثَارٌ حَسَنَةٌ وَهُوَ الَّذِى عَمَّرَ الْجَامِعَ الْمُظَفَّرِىَّ بِسَفْحِ قَاسْيُون» اهـ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِى تَارِيخِهِ «كَانَ يَعْمَلُ الْمَوْلِدَ الشَّرِيفَ يَعْنِى الْمَلِكَ الْمُظَفَّرَ فِى رَبِيعٍ الأَوَّلِ وَيَحْتَفِلُ بِهِ احْتِفَالًا هَائِلًا وَكَانَ شَهْمًا شُجَاعًا بَطَلًا عَاقِلًا عَالِمًا عَادِلًا رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ. قَالَ وَقَدْ صَنَّفَ لَهُ الشَّيْخُ أَبُو الْخَطَّابِ ابْنُ دِحْيَةَ مُجَلَّدًا فِى الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ سَمَّاهُ التَّنْوِيرَ فِى مَوْلِدِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ فَأَجَازَهُ عَلَى ذَلِكَ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَدْ طَالَتْ مُدَّتُهُ فِى الْمُلْكِ إِلَى أَنْ مَاتَ وَهُوَ مُحَاصِرٌ لِلْفِرَنْجِ بِمَدِينَةِ عَكَّا سَنَةَ ثَلاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ مَحْمُودَ السِّيرَةِ وَالسَّرِيرَةِ» اهـ.

وَيَذْكُرُ سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِىِّ فِى مِرْءَاةِ الزَّمَانِ أَنَّهُ كَانَ يَحْضُرُ عِنْدَهُ فِى الْمَوْلِدِ أَعْيَانُ الْعُلَمَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ.

وَقَالَ ابْنُ خَلِّكَان فِى تَرْجَمَةِ الْحَافِظِ ابْنِ دِحْيَةَ «كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ وَمَشَاهِيرِ الْفُضَلاءِ قَدِمَ مِنَ الْمَغْرِبِ فَدَخَلَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ وَاجْتَازَ بِإِرْبِلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّمِائَةٍ فَوَجَدَ مَلِكَهَا الْمُعَظَّمَ مُظَفَّرَ الدِّينِ بنَ زَيْنِ الدِّينِ يَعْتَنِى بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِىِّ فَعَمِلَ لَهُ كِتَابَ التَّنْوِيرِ فِى مَوْلِدِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ وَقَرَأَهُ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ فَأَجَازَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ» اهـ.

قَالَ الْحَافِظُ السُّيُوطِىُّ «وَقَدِ اسْتَخَرَجَ لَهُ أَىِ الْمَوْلِدِ إِمَامُ الْحُفَّاظِ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بنُ حَجَرٍ أَصْلًا مِنَ السُّنَّةِ وَاسْتَخْرَجْتُ لَهُ أَنَا أَصْلًا ثَانِيًا... » اهـ.

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا أَنَّ الِاحْتِفَالَ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِىِّ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ فَلا وَجْهَ لإِنْكَارِهِ بَلْ هُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يُسَمَّى سُنَّةً حَسَنَةً لِأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ مَا شَمِلَهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَىْءٌ**» وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ وَارِدًا فِى سَبَبٍ مُعَيَّنٍ وَهُوَ أَنَّ جَمَاعَةً أَدْقَعَ بِهِمُ الْفَقْرُ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهُمْ يَلْبَسُونَ النِّمَارَ مُجْتَبِيهَا أَىْ خَارِقِى وَسَطِهَا [وَالنِّمَارُ ثَوْبٌ مُخَطَّطٌ مِنْ شِدَّةِ الْفَقْرِ خَرَقُوا وَسَطَهَا لِيَسْتُرُوا بِهَا عَوْرَاتِهِمْ] فَأَمَرَ الرَّسُولُ بِالصَّدَقَةِ فَاجْتَمَعَ لَهُمْ شَىْءٌ كَثِيرٌ فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ لِذَلِكَ فَقَالَ «**مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلامِ** ... » الْحَدِيثَ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لا بِخُصُوصِ السَّبَبِ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ الأُصُولِيِّينَ وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَهُوَ مُكَابِرٌ.

**فَصْلٌ فِى ذِكْرِ مَا شَرَّفَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الآيَاتِ**

شَرَّفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ الْمُصْطَفَى بِآيَاتٍ كَثِيرَةٍ فَمِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى مَكَارِمِ أَخْلاقِهِ وَشَرَفِ حَالِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [سُورَةَ الْقَلَم/4].

وَمِنْهَا مَا أَبَانَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ عُلُوَّ شَرَفِ نَسَبِهِ وَعَظِيمَ قَدْرِهِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [سُورَةَ التَّوْبَة/128].

وَمِنْهَا مَا كَشَفَ عَنْ ثَنَائِهِ تَعَالَى عَلَيْهِ فِى كُتُبِهِ الْمُنَّزَلَةِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾[سُورَةَ الْفَتْح/29]. [فَسَّرَ بَعْضُهُمْ سِيمَاهُمْ بِخَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ الْحَدِيثَ، أَىْ أَنَّ الأَوْلِيَاءَ لَهُمْ عَلامَاتٌ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ذَكَرْتَ اللَّهَ تَعَالَى].

وَمِنْهَا مَا أَوْضَحَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مُقَدَّمٌ عَلَى النَّبِيِّينَ وَذَلِكَ فِى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [سُورَةَ ءَالِ عِمْرَان/81].

وَمِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ احْتِرَامِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَإِجْلالِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [سُورَةَ الْحُجُرَات] وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [سُورَةَ الأَنْفَال/24] وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾ [سُورَةَ النُّور/63].

وَمِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى دَوَامِ تَعْظِيمِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ أَزْوَاجَهُ الْكَرِيمَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ تَعَالَى ﴿**النَّبِىُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [سُورَةَ الأَحْزَاب/6] وَقَالَ تَعَالَى ﴿**وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا**﴾ [سُورَةَ الأَحْزَاب/53].

وَمِنْهَا أَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [سُورَةَ الْحِجْر/72].

**فَصْلٌ فِى ذِكْرِ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

هُوَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَىِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَىِّ ابْنِ غَالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مَالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إِلْيَاسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزَارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنَانَ أَبُو الْقَاسِمِ سَيِّدُ وَلَدِ ءَادَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ.

وَجَدُّهُ الأَعْلَى عَدْنَانُ مِنْ سُلالَةِ إِسْمَاعِيلَ نَبِىِّ اللَّهِ وَهُوَ الذَّبِيحُ عَلَى الصَّحِيحِ ابْنِ نَبِىِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمٰنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبُ هَذَا النَّسَبِ الشَّرِيفِ نُخْبَةُ بَنِى هَاشِمٍ وَعَظِيمُهَا رَوَى الإِمَامُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ وَاثِلَةَ بنِ الأَسْقَعِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِى هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِى مِنْ بَنِى هَاشِمٍ**».

وَرَوَى التِّرْمِذِىُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِى هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِى مِنْ بَنِى هَاشِمٍ**» قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّقُولُ وَالآثَارُ.

**فَصْلٌ فِى حَمْلِ ءَامِنَةَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

تَزَوَّجَ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ سَيِّدِةِ نِسَاءِ بَنِى زُهْرَةَ وَهِىَ ءَامِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلابٍ فَحَمَلَتْ بِسَيِّدِ الْخَلائِقِ وَالأُمَمِ وَتَفَضَّلَ اللَّهُ بِإِبْرَازِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْوُجُودِ نِعْمَةً عَلَى سَائِرِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَكَانَ حَمْلُهُ الشَّرِيفُ أَوَّلَ تَبَاشِيرِ الأَنْوَارِ لِأَهْلِ الْبَادِيَةِ وَالْحَضَرِ.

رَوَى ابْنُ سَعْدٍ عَنْ عَمَّةِ يَزِيدَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ وَهْبِ بنِ زَمْعَةَ أَنَّهَا قَالَتْ «كُنَّا نَسْمَعُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَمَلَتْ بِهِ ءَامِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ كَانَتْ تَقُولُ مَا شَعَرْتُ أَنِّى حَمَلْتُ بِهِ وَلا وَجَدْتُ لَهُ ثَقَلَةً كَمَا تَجِدُ النِّسَاءُ إِلَّا أَنِّى قَدْ أَنْكَرْتُ رَفْعَ حَيْضَتِى وَرُبَّمَا كَانَتْ تَرْفَعُنِى وَتَعُودُ وَأَتَانِى ءَاتٍ وَأَنَا بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ فَقَالَ هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكِ حَمَلْتِ فَكَأَنِّى أَقُولُ مَا أَدْرِى فَقَالَ إِنَّكِ قَدْ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ قَالَتْ فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَقَّنَ عِنْدِى الْحَمْلَ ثُمَّ أَمْهَلَنِى حَتَّى إِذَا دَنَا وِلادَتِى أَتَانِى ذَلِكَ الآتِى فَقَالَ قُولِى أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ قَالَتْ فَكُنْتُ أَقُولُ ذَلِكَ».

**فَصْلٌ فِى ذِكْرِ مَوْلِدِهِ الشَّرِيفِ**

رَوَى أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِىُّ وَغَيْرُهُمَا عَنِ الْعِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «**إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ ءَادَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِى طِينَتِهِ وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِى إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى بِى وَرُؤْيَا أُمِّى الَّتِى رَأَتْ وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ**» وَأَنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ.

قَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِىُّ عَقِبَهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ ءَادَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِى طِينَتِهِ**» يُرِيدُ بِهِ أَنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ فِى قَضَاءِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ أَبُو الْبَشَرِ وَأَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ اهـ.

وَرَوَى أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِىُّ وَالطَّيَالِسِىُّ بِإِسْنَادِهِمْ عَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ قَالَ «**دَعْوَةُ أَبِى إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى بنِ مَرْيَمَ وَرَأَتْ أُمِّى أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ**».

وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «**رَأَتْ أُمِّى حِينَ وَضَعَتْنِى سَطَعَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى**».

وَيُرْوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَضَعَتْهُ ءَامِنَةُ وَقَعَ جَاثِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَخَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ حَتَّى رَأَتْ أُمُّهُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى.

أَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ «**دَعْوَةُ أَبِى إِبْرَاهِيمَ**» فَهُوَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا بَنَى الْبَيْتَ دَعَا رَبَّهُ فَقَالَ ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ [سُورَةَ الْبَقَرَة/126] ثُمَّ قَالَ ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [سُورَةَ الْبَقَرَة/129] فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهُ فِى نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلَهُ الرَّسُولَ الَّذِى سَأَلَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ «**وَبُشْرَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**» فَهُوَ أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بَشَّرَ قَوْمَهُ بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْءَانُ الْكَرِيمُ حِكَايَةً عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [سُورَةَ الصَّف/6].

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ لَيْلَةَ مَوْلِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةٌ شَرِيفَةٌ عَظِيمَةٌ مُبَارَكَةٌ ظَاهِرَةُ الأَنْوَارِ جَلِيلَةُ الْمِقْدَارِ أَبْرَزَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا إِلَى الْوُجُودِ فَوَلَدَتْهُ ءَامِنَةُ فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ الشَّرِيفَةِ مِنْ نِكَاحٍ لا مِنْ سِفَاحٍ [وَالسِّفَاحُ الزِّنَى] فَظَهَرَ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ مَا بَهَرَ الْعُقُولَ وَالأَبْصَارَ كَمَا شَهِدَتْ بِذَلِكَ الأَحَادِيثُ وَالأَخْبَارُ.

**فَصْلٌ فِيمَا ظَهَرَ مِنَ الآيَاتِ لِمَوْلِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

ظَهَرَتْ لِمَوْلِدِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ءَايَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِىُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ وَغَيْرُهُمَا بِإِسْنَادِهِمْ إِلَى هَانِئٍ الْمَخْزُومِىِّ قَالَ «لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِى وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتَجَسَ إِيوَانُ كِسْرَى [وَارْتَجَسَ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى اهْتَزَّ] وَسَقَطَ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً وَخَمَدَتْ نَارُ الْفُرْسِ وَلَمْ تَخْمُدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَة... » [غَاضَ الْمَاءُ نَضَبَ أَىْ ذَهَبَ فِى الأَرْضِ].

وَفِى سُقُوطِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ إِلَّا أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَلِكًا وَكَانَ ءَاخِرُهُمْ فِى خِلافَةِ عُثْمَانَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا نَارُ فَارِسٍ الَّتِى كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالَّتِى كَانَتْ تُوقَدُ وَتُضْرَمُ لَيْلًا وَنَهَارًا فَانْطَفَأَتْ.

وَأَمَّا بُحَيْرَةُ سَاوَةَ الَّتِى كَانَتْ تَسِيرُ فِيهَا السُّفُنُ فَقَدْ جَفَّ مَاؤُهَا.

وَمِنَ الآيَاتِ الَّتِى ظَهَرَتْ لِمَوْلِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ رُمِيَتْ وَقُذِفَتْ بِالشُّهُبِ مِنَ السَّمَاءِ وَحُجِبَ عَنْهَا خَبَرُ السَّمَاءِ كَمَا ذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَكِنَّ الْمَشْهُورَ وَالْمَحْفُوظَ أَنَّ قَذْفَ الشَّيَاطِينِ بِالشُّهُبِ عِنْدَ مَبْعَثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْهَا أَنَّ إِبْلِيسَ حُجِبَ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ فَصَاحَ وَرَنَّ رَنَّةً عَظِيمَةً كَمَا رَنَّ حِينَ لُعِنَ وَحِينَ أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ وَحِينَ وُلِدَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِينَ نَزَلَتِ الْفَاتِحَةُ ذَكَرَ ذَلِكَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِىُّ فِى الْمَوْرِدِ الْهَنِىِّ عَنْ بَقِىِّ بنِ مَخْلَدٍ.

وَمِنْهَا مَا سُمِعَ مِنْ أَجْوَافِ الأَصْنَامِ وَمِنْ أَصْوَاتِ الْهَوَاتِفِ بِالْبِشَارَةِ بِظُهُورِ الْحَقِّ فِى وَقْتِ الزَّوَالِ.

**فَصْلٌ فِى بَيَانِ زَمَانِ مَوْلِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَكَانِهِ**

اخْتُلِفَ فِى عَامِ وِلادَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالأَكْثَرُ أَنَّهُ عَامُ الْفِيلِ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ «وُلِدَ بَعْدَ قُدُومِ الْفِيلِ بِشَهْرٍ وَقِيلَ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا [وَقِيلَ لِلتَّضْعِيفِ] وَقِيلَ بِخَمْسِينَ يَوْمًا».

وَرَوَى الْبَيْهَقِىُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ وُلِدَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفِيلِ.

أَمَّا شَهْرُ مَوْلِدِهِ فَهُوَ شَهْرُ رَبِيعٍ الأَوَّلِ وَأَمَّا يَوْمُ مَوْلِدِهِ مِنَ الشَّهْرِ فَالْمُعْتَمَدُ أَنَّهُ كَانَ لِثِنْتَىْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ كَمَا كَانَ يَوْمُ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا يَوْمُ مَوْلِدِهِ فَهُوَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ بِلا خِلافٍ فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِى قَتَادَةَ الأَنْصَارِىِّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ فَقَالَ «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَأُنْزِلَ عَلِىَّ فِيهِ**».

وَأَمَّا مَكَانُ مَوْلِدِهِ فَالصَّحِيحُ الْمَحْفُوظُ أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ الْمُشَرَّفَةِ وَالأَكْثَرُ أَنَّهُ كَانَ فِى الْمَحَلِّ الْمَشْهُورِ بِسُوقِ اللَّيْلِ وَقَدْ جَعَلَتْهُ أُمُّ هَارُونَ الرَّشِيدِ مَسْجِدًا ذَكَرَ ذَلِكَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِىُّ وَغَيْرُهُ وَقَالَ الأَزْرَقِىُّ «إِنَّهُ ذَلِكَ الْبَيْتُ لا اخْتِلافَ فِيهِ عِنْدَ أَهْلِ مَكَّةَ» اهـ. وَيُعْرَفُ الْمَكَانُ الْيَوْمَ بِمَحَلَّةِ الْمَوْلِدِ.

**فَصْلٌ فِى أَسْمَاءِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنْيَتِهِ**

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ**﴾ [سُورَةَ الْفَتْح/29] وَقَالَ حِكَايَةً عَنْ قَوْلِ عِيسَى ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [سُورَةَ الصَّف/6].

وَرَوَى الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِىُّ وَغَيْرُهُمْ عَنْ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «**إِنَّ لِى أَسْمَاءٌ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِى الَّذِى يَمْحُو اللَّهُ بِىَ الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِى يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِى** [أَىْ خَلْفِى] **وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِى لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ**».

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّى لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ «**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّى** [وَالْمُقَفِّى بِمَعْنَى الْعَاقِبِ أَىِ الَّذِى لا يَعْقُبُهُ نَبِىٌّ] **وَالْحَاشِرُ وَنَبِىُّ التَّوْبَةِ وَنَبِىُّ الرَّحْمَةِ**».

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَالْحَاشِرُ وَالْمَاحِى وَالْخَاتِمُ وَالْعَاقِبُ**».

وَرَوَى الْبَيْهَقِىُّ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**» وَفِى رِوَايَةٍ «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**».

وَرَوَى الْبَيْهَقِىُّ وَالطَّيَالِسِىُّ عَنْ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْحَاشِرُ وَنَبِىُّ التَّوْبَةِ وَنَبِىُّ الْمَلْحَمَةِ**». [وَنَبِىُّ الْمَلْحَمَةِ أَىْ أُرْسِلَ بِالْجِهَادِ]

أَمَّا كُنْيَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**تَسَمَّوْا بِاسْمِى وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِى**».

وَرَوَى الْبَيْهَقِىُّ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لا تَجْمَعُوا بَيْنَ اسْمِى وَكُنْيَتِى أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ، اللَّهُ يَرْزُقُ وَأَنَا أَقْسِمُ**». [فِى حَالِ حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَجُوزُ أَنْ يَجْمَعَ الرَّجُلُ بَيْنَ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ أَمَّا بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ فَيَجُوزُ].

وَرَوَى الْحَاكِمُ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ بنُ مَارِيَةَ أَتَى جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ «**السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيم**». وَحَدِيثُ الْحَاكِمِ فِى إِسْنَادِهِ ابْنُ لَهِيعَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ [حَدِيثٌ **لَوْ عَاشَ إِبْرَاهِيمُ لَكَانَ نَبِيًّا**].

**فَصْلٌ فِى قِصَّةِ رَضَاعِهِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ شَقِّ صَدْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

تُوُفِّىَ وَالِدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ شَهْرَيْنِ وَقِيلَ وَهُوَ حَمْلٌ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ فَكَانَ مِنْ قِصَّةِ رَضَاعِهِ مِنْ حَلِيمَةَ مَا يَلِى قَالَتْ حَلِيمَةُ «خَرَجْتُ فِى نِسْوَةٍ مِنْ بَنِى سَعْدِ بنِ بَكْرٍ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ بِمَكَّةَ عَلَى أَتَانٍ لِى [وَهِىَ الأُنْثَى مِنَ الْحَمِيرِ] قَمْرَاءَ [الْقُمْرَةُ لَوْنٌ إِلَى الْخُضْرَةِ أَوْ بَيَاضٌ فِيهِ كُدْرَةٌ] فِى سَنَةٍ شَهْبَاءَ [يَعْنِى سَنَةَ الْقَحْطِ وَالْجَدْبِ] لَمْ تُبْقِ شَيْئًا وَمَعِى زَوْجِى وَمَعَنَا شَارِفٌ لَنَا [أَىْ نَاقَةٌ مُسِنَّةٌ] وَاللَّهِ إِنْ تَبِضَّ لَنَا بِقَطْرَةٍ مِنْ لَبَنٍ وَمَعِى صَبِىٌّ لِى لا نَنَامُ لَيْلَتَنَا مِنْ بُكَائِهِ مَا فِى ثَدْيَـىَّ مَا يُغْنِيهِ فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ لَمْ يَبْقَ مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَأْبَاهُ وَإِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو كَرَامَةَ الرَّضَاعَةِ مِنْ وَالِدِ الْمَوْلُودِ وَكَانَ يَتِيمًا وَكُنَّا نَقُولُ يَتِيمٌ مَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أَمُّهُ بِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ صَوَاحِبِى امْرَأَةٌ إِلَّا أَخَذَتْ صَبِيًّا غَيْرِى فَكَرِهْتُ أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ ءَاخُذْ شَيْئًا وَقَدْ أَخَذَ صَوَاحِبِى فَقُلْتُ لِزَوْجِى وَاللَّهِ لَأَرْجِعَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَآخُذَنَّهُ قَالَتْ فَأَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُهُ وَرَجَعْتُ إِلَى رَحْلِى فَقَالَ زَوْجِى قَدْ أَخَذْتِهِ فَقُلْتُ نَعَمْ وَاللَّهِ وَذَلِكَ أَنِى لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ فَقَالَ أَصَبْتِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ فِيهِ خَيْرًا فَقُلْتُ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَعَلْتُهُ فِى حِجْرِى فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَـىَّ بِمَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ اللَّبَنِ فَشَرِبَ حَتَّى رَوِىَ وَشَرِبَ أَخُوهُ تَعْنِى ابْنَهَا حَتَّى رَوِىَ وَقَامَ زَوْجِى يَلِى شَارِفَنَا مِنَ اللَّيْلِ فَإِذَا بِهَا حَافِلٌ [أَىْ مُمْتَلِئَةَ الضَّرْعِ مِنَ اللَّبَنِ] فَحَلَبْنَا مِنَ اللَّبَنِ مَا شِئْنَا وَشَرِبَ حَتَّى رَوِىَ وَشَرِبْتُ حَتَّى رَوَيْتُ وَبِتْنَا لَيْلَتَنَا تِلْكَ شِبَاعًا رِوَاءً وَقَدْ نَامَ صَبِيَّانَا. قَالَتْ قَالَ أَبُوهُ تَعْنِى زَوْجَهَا وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةُ مَا أَرَاكِ إِلَّا قَدْ أَصَبْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً قَدْ نَامَ صَبِيَّانَا.

قَالَتْ ثُمَّ خَرَجْنَا قَالَتْ وَاللَّهِ لَخَرَجَتْ أَتَانِى أَمَامَ الرَّكْبِ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ وَيْحَكِ كُفِّى عَنَّا أَلَيْسَتْ هَذِهِ بِأَتَانِكِ الَّتِى خَرَجْتِ عَلَيْهَا فَأَقُولُ بَلَى وَاللَّهِ وَهِىَ قُدَّامَنَا حَتَّى قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ حَاضِرِ بَنِى سَعْدِ بنِ بَكْرٍ فَقَدِمْنَا عَلَى أَجْدَبِ أَرْضٍ فَوَالَّذِى نَفْسُ حَلِيمَةَ بِيَدِهِ إِنْ كَانُوا لِيُسَرِّحُونَ أَغْنَامَهُمْ إِذَا أَصْبَحُوا وَيُسَرِّحُ رَاعِى غَنَمِى فَتَرُوحُ بِطَانًا لُبَّنًا [أَىْ غَزِيرَاتِ اللَّبَنِ] حُفَّلًا وَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا بِهَا مِنْ لَبَنٍ.

قَالَتْ فَنَشْرَبُ مَا شِئْنَا مِنَ اللَّبَنِ وَمَا فِى الْحَاضِرِ أَحَدٌ يَحْلِبُ قَطْرَةً وَلا يَجِدُهَا فَيَقُولُونَ لِرِعَائِهِمْ وَيْلَكُمْ أَلا تُسَرِّحُونَ حَيْثُ يُسَرِّحُ رَاعِى حَلِيمَةَ فَيُسَرِّحُونَ فِى الشُّعَبِ الَّذِى نُسَرِّحُ فِيهِ فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا بِهَا مِنْ لَبَنٍ وَتَرُوحُ غَنَمِى لُبَّنًا حُفَّلًا. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشِبُّ فِى الْيَوْمِ شِبَابَ الصَّبِىِّ فِى الشَّهْرِ وَيَشِبُّ فِى الشَّهْرِ شِبَابَ الصَّبِىِّ فِى سَنَةٍ فَبَلَغَ سَنَةً وَهُوَ غُلامٌ جَفْرٌ [أَىْ شَدِيدٌ] قَالَتْ فَقَدِمْنَا عَلَى أُمِّهِ فَقُلْتُ لَهَا أَوْ قَالَ لَهَا أَبُوهُ رُدِّى عَلَيْنَا ابْنِى فَلْنَرْجِعْ بِهِ فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ قَالَتْ وَنَحْنُ أَضَنُّ شَىْءٍ بِهِ مِمَّا رَأَيْنَا مِنْ بَرَكَتِهِ. قَالَتْ فَلَمْ نَزَلْ حَتَّى قَالَتْ ارْجِعَا بِهِ فَرَجِعْنَا بِهِ فَمَكَثَ عِنْدَنَا شَهْرَيْنِ. قَالَتْ فَبَيْنَا هُوَ وَأَخُوهُ يَوْمًا خَلْفَ الْبُيُوتِ يَرْعَيَانِ بَهْمًا لَنَا إِذْ جَاءَ أَخُوهُ يَشْتَدُّ فَقَالَ لِى وَلِأَبِيهِ أَدْرِكَا أَخِى الْقُرَشِىَّ فَقَدْ جَاءَهُ رَجُلانِ فَأَضْجَعَاهُ وَشَقَّا بَطْنَهُ فَخَرَجْنَا نَشْتَدُّ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ قَائِمٌ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ فَاعْتَنَقَهُ أَبُوهُ وَاعْتَنَقْتُهُ ثُمَّ قُلْنَا أَىْ بُنَىّ قَالَ أَتَانِى رَجُلانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَانِى ثُمَّ شَقَّا بَطْنِى فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا صَنَعَا. قَالَتْ فَاحْتَمَلْنَاهُ وَرَجَعْنَا بِهِ يَقُولُ أَبُوهُ يَا حَلِيمَةُ مَا أَرَى هَذَا الْغُلامَ إِلَّا قَدْ أُصِيبَ فَانْطَلِقِى فَلْنَرُدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ بِهِ مَا نَتَخَوَّفُ عَلَيْهِ قَالَتْ فَرَجَعْنَا بِهِ قَالَتْ أُمُّهُ فَمَا يَرُدُّكُمَا بِهِ وَقَدْ كُنْتُمَا حَرِيصَيْنِ عَلَيْهِ قَالَتْ فَقُلْتُ لا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّا قَدْ كَفَلْنَاهُ وَأَدَّيْنَا الْحَقَّ الَّذِى يَجِبُ عَلَيْنَا فِيهِ ثُمَّ تَخَوَّفْنَا الأَحْدَاثَ عَلَيْهِ فَقُلْنَا يَكُونُ فِى أَهْلِهِ قَالَتْ أُمُّهُ وَاللَّهِ مَا ذَاكَ بِكُمَا فَأَخْبِرَانِى خَبَرَكُمَا وَخَبَرَهُ قَالَتْ فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ بِنَا حَتَّى أَخْبَرْنَاهَا خَبَرَهُ قَالَتْ فَتَخَوَّفْتُمَا عَلَيْهِ كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّ لِابْنِى هَذَا شَأْنًا أَلا أَخْبِرُكُمَا عَنْهُ إِنِّى حَمَلْتُ بِهِ فَلَمْ أَحْمِلْ حَمْلًا قَطُّ كَانَ أَخَفَّ عَلَىَّ وَلا أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْهُ ثُمَّ رَأَيْتُ نُورًا كَأَنَّهُ شِهَابٌ خَرَجَ مِنِّى حِينَ وَضَعْتُهُ أَضَاءَتْ لَهُ أَعْنَاقُ الإِبِلِ بِبُصْرَى ثُمَّ وَضَعْتُهُ فَمَا وَقَعَ كَمَا تَقَعُ الصِّبْيَانُ وَقَعَ وَاضِعًا يَدَيْهِ بِالأَرْضِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ دَعَاهُ وَالْحَقَا شَأْنَكُمَا» اهـ.

قَالَ ابْنُ حِبَّانَ بَعْدَ إِيرَادِهِ هَذِهِ الْقِصَّةَ بِحُرُوفِهَا «قَالَ وَهْبُ بنُ جَرِيرِ بنِ حَازِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا جَهْمُ بنُ أَبِى جَهْمٍ نَحْوَهُ حَدَّثَنَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا وَهْبُ بنُ جَرِيرٍ».

قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِىُّ بَعْدَ عَزْوِهِ الْقِصَّةَ لِابْنِ حِبَّانَ وَإِيرَادِهِ كَلامَهُ «...وَهَكَذَا رَوَاهُ زِيَادُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِىُّ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ فَصَرَّحَ بِالتَّحْدِيثِ إِلَّا أَنَّهُ شَكَّ فِى اتِّصَالِهِ كَمَا أَخْبَرَنَا بِهِ عَالِيًا مُحَمَّدُ بنُ عَلِىِّ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَطْرَوَانِىُّ أَنْبا مُحَمَّدُ بنُ رَبِيعَةَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْقَوِىِّ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بنِ الْحُبَابِ أَنْبا عَبْدُ اللَّهِ بنُ رِفَاعَةَ أَخْبَرَنَا عَلِىُّ بنُ الْحَسَنِ الْخِلَعِىُّ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عُمَرَ النَّحَّاسُ ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَعْفَرِ بنِ الْوَرْدِ ثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ الْيَرَقِىُّ ثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بنُ هِشَامٍ ثَنَا زِيَادُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِىُّ ثَنَا مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِى جَهْمُ بنُ أَبِى جَهْمٍ مَوْلَى الْحَارِثِ بنِ حَاطِبٍ الْجُمَحِىِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرِ بنِ أَبِى طَالِبٍ أَوْ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْهُ قَالَ كَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِى ذُؤَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِى أَرْضَعَتْهُ تُحَدِّثُ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا وَابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ تُرْضِعُهُ... فَذَكَرَ نَحْوَهُ مَعَ اخْتِلافِ أَلْفَاظٍ وَزَادَ «فَلَمْ يَزَلْ يَتَعَرَّفُ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتَّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَكَانَ يَشِبُّ شَبَابًا لا يَشِبُّهُ الْغِلْمَانُ فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتَّى كَانَ غُلامًا جَفْرًا... ».

كَذَا قَالَ «سَنَتَيْهِ» وَهُوَ الصَّوَابُ وَقَوْلُ ابْنِ حِبَّانَ فِى رِوَايَتِهِ «سَنَةً» غَلَطٌ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ انْتَهَى كَلامُ الْحَافِظِ الْعِرَاقِىِّ بِحُرُوفِهِ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ قَلْبَهُ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ فِى طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِى مَكَانِهِ وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِى ظِئْرَهُ [أَىْ مُرْضِعَتَهُ] فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ».

قَالَ أَنَسٌ وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِى صَدْرِهِ.

قَالَ الْبَيْهَقِىُّ بَعْدَ عَزْوِهِ لِمُسْلِمٍ «وَهُوَ يُوَافِقُ مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَغَازِى».

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أُتِيتُ وَأَنَا فِى أَهْلِى فَانْطُلِقَ بِى إِلَى زَمْزَمَ فَشُرِحَ صَدْرِى ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئَةً إِيـمَانًا وَحِكْمَةً فَحُشِىَ بِهَا صَدْرِى** قَالَ أَنَسٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِينَا أَثَرَهُ **فَعَرَجَ بِىَ الْمَلَكُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ الْمَلَكُ...**» وَذَكَرَ حَدِيثَ الْمِعْرَاجِ.

قَالَ الْبَيْهَقِىُّ عَقِبَهُ «وَيَحْتَمِلُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مَرَّتَيْنِ مَرَّةً حِينَ كَانَ عِنْدَ مُرْضِعَتِهِ حَلِيمَةَ وَمَرَّةً حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ بَعْدَمَا بُعِثَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ» اهـ.

وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْكَلامَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ قَالَ «شُقَّ صَدْرُ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَبِىٌّ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ وَأُخْرِجَ مِنْهُ الْعَلَقَةُ وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلا الإِسْرَاءَ بِهِ أَمَرَ جِبْرِيلَ بِشَقِّ صَدْرِهِ ثَانِيًا وَأَخْرَجَ قَلْبَهُ فَغَسَلَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ مَرَّتَيْنِ فِى مَوْضِعَيْنِ وَهُمَا غَيْرُ مُتَضَادَّيْنِ».اهـ.

**فَصْلٌ فِى بَيَانِ نُبْذَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ الْكَرِيـمَةِ وَشَمَائِلِهِ الشَّرِيفَةِ**

**وَأَخْلاقِهِ الطَّاهِرَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

رَوَى الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنِ الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ وَلا بِالْقَصِيرِ» [مَعْنَاهُ فِى أَقَلِّ دَرَجَاتِ الطُّولِ].

وَرَوَى الْبَيْهَقِىُّ وَالطَّبَرَانِىُّ عَنْ أَبِى عُبَيْدَةَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ قَالَ قُلْتُ لِلرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ صِفِى لِى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ «لَوْ رَأَيْتَهُ لَقُلْتَ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ» [الرُّبَيِّعُ الَّتِى أَذِنَ الرَّسُولُ أَنْ يُضْرَبَ بِالدُّفِ فِى عُرْسِهَا وَرَدَ ذَلِكَ فِى صَحِيحِ الْبُخَارِىِّ].

وَرَوَى التِّرْمِذِىُّ وَأَحْمَدُ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنَ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِى فِى وَجْهِهِ وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِى مَشْيِهِ مِنْهُ كَأَنَّ الأَرْضَ تُطْوَى لَهُ إِنَّا لَنَجْهَدُ وَإِنَّهُ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ».

وَرَوَى الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِىُّ وَغَيْرُهُمْ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «كَانَ شَعَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ» وَفِى لَفْظٍ ءَاخَرَ عَنْهُ عِنْدَ الْبُخَارِىِّ وَمُسْلِمٍ «كَانَ شَعَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ».

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «مَا شَمَمْتُ شَيْئًا قَطُّ مِسْكًا وَلا عَنْبَرًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلا مَسَسْتُ شَيْئًا قَطُّ حَرِيرًا وَلا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مَسًّا مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَقَالَ الْبَرَاءُ بنُ عَازِبٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْبُوعًا بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ أَعْظَمَ النَّاسِ وَأَحْسَنَ النَّاسِ جُمَّتُهُ [أَىْ شَعَرُهُ يَصِلُ] إِلَى أُذُنَيْهِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ» أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِى صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ [أَىِ الْمُفْرِطِ الطُّولِ] وَلا بِالْقَصِيرِ وَلَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ [وَالأَمْهَقُ هُوَ الْكَرِيهُ الْبَيَاضِ الَّذِى يَبْتَعِدُ عَنْهُ النَّاسُ] وَلا بِالآدَمِ [وَالأَدَمَةُ فِى النَّاسِ السُّمْرَةُ الشَّدِيدَةُ] وَلا بِالْجَعْدِ الْقَطِطِ [وَالْقَطِطُ الشَّدِيدُ الْجُعُودَةِ] وَلا بِالسَّبِطِ [أَىِ الْمُنْبَسِطِ الْمُسْتَرْسِلِ] بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ السِّتِّينَ سَنَةً وَلَيْسَ فِى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ».

وَرَوَى الْبَيْهَقِىُّ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ فِى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعْتَ عَمِّهِ أَبِى طَالِبٍ إِيَّاهُ فِى لَوْنِهِ حَيْثُ يَقُولُ

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

[ثِمَالُ الْيَتَامَى أَىْ مَلْجَأٌ وَغِيَاثٌ وَالْمُطْعِمُ فِى الشِّدَّةِ]

وَيَقُولُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ هَكَذَا كَانَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ تَمَثَّلْتُ فِى أَبِى

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

فَقَالَ أَبِى ذَاكَ رَسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [لا يُوجَدُ نَبِىٌّ أَسْوَدُ، مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ كَانَ لَهُ سُمْرَةٌ خَفِيفَةٌ وَكَذَلِكَ ءَادَمُ].

أَمَّا أَخْلاقُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ دَلَّتْ عَلَيْهَا الآيَةُ الْكَرِيـمَةُ ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [سُورَةَ الْقَلَم/4] وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ عِنْدَمَا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَإِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْءَان» رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِى الصَّحِيحِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ فِى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**خُذِ الْعَفْوَ**﴾ [سُورَةَ الأَعْرَاف/199] قَالَ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلاقِ النَّاسِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِىُّ فِى الصَّحِيحِ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى» وَزَادَ الْقَطَّانُ فِى رِوَايَتِهِ «فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ بِهَا» أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ وَالْبَيْهَقِىُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَمَا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلا مُفْتَحِشًا وَلا سَخَّابًا فِى الأَسْوَاقِ وَلا يَجْزِى بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ أَوْ قَالَتْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ»، شَكَّ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِى خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِى وَجْهِهِ» أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ «**أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**» أَخْرَجَاهُ فِى الصَّحِيحِ.

وَإِلَى جَانِبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ كَانَ شَدِيدًا فِى أَمْرِ اللَّهِ شُجَاعًا فَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَلِىِّ بنِ أَبِى طَالِبٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اتَّقَيْنَا الْمُشْرِكِينَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ بَأْسًا».

أَمَّا أَخْبَارُ كَرَمِهِ وَسَخَائِهِ فَعَدِيدَةٌ مِنْهَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلامِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَعْطَاهُ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِغَنَمٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِى عَطَاءَ مَنْ لا يَخَافُ الْفَاقَةَ».

أَمَّا أَخْبَارُ زُهْدِهِ وَتَوَاضُعِهِ وَاخْتِيَارِهِ الدَّارَ الآخِرَةَ فَكَثِيرَةٌ مِنْهَا مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِىُّ وَالتِّرْمِذِىُّ وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ اضْطَجَعَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَأَثَّرَ الْحَصِيرُ بِجِلْدِهِ فَجَعَلْتُ أَمْسَحُهُ عَنْهُ وَأَقُولُ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا أَذِنْتَنَا فَنَبْسِطَ لَكَ شَيْئًا يَقِيكَ مِنْهُ تَنَامُ عَلَيْهِ فَقَالَ «**مَا لِى وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**».

فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّصِفًا بِصِفَاتٍ حَسَنَةٍ مِنَ الصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ وَالصِّلَةِ وَالْعَفَافِ وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ وَطَاعَةِ اللَّهِ فِى كُلِّ حَالٍ وَأَوَانٍ وَلَحْظَةٍ وَنَفَسٍ مَعَ الْفَصَاحَةِ الْبَاهِرَةِ وَالنُّصْحِ التَّامِّ وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالإِحْسَانِ وَمُوَاسَاةِ الْفُقَرَاءِ وَالأَيْتَامِ وَالأَرَامِلِ وَالضُّعَفَاءِ وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَاضُعًا يُحِبُّ الْمَسَاكِينَ وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ هَذَا كُلُّهُ مَعَ حُسْنِ السَّمْتِ [أَىِ الصِّفَةِ] وَالصُّورَةِ وَالنَّسَبِ الْعَظِيمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [سُورَةَ الأَنْعَام/124].

**الْخَاتِمَةُ فِى التَّحْذِيرِ مِنْ بَعْضِ مَا أُلِّفَ فِى الْمَوْلِدِ**

اعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضْلُهُ ثَابِتٌ فِى الْقُرْءَانِ وَالأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ وَلا يُحْتَاجُ فِى إِثْبَاتِ فَضْلِهِ إِلَى ذِكْرِ مَا فِيهِ كَذِبٌ وَغُلُوٌّ فَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لا تُطْرُونِى** [أَىْ لا تُبَالِغُوا فِى مَدْحِى] **كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**».

ثُمَّ إِنَّ الْكَذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِالأَمْرِ الْهَيِّنِ بَلْ هُوَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّى بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**» وَرَوَى الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «**مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

فَتَبَيَّنَ أَنَّ وَصْفَ الرَّسُولِ بِمَا لَمْ يَصِحَّ عَنْهُ وَبِمَا فِيهِ كَذِبٌ هُوَ مِنْ قَبِيلِ الْغُلُوِّ الْمَذْمُومِ وَلا يُحْتَجُّ لِذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ أَحَادِيثِ الْفَضَائِلِ فَإِنَّ أَحَادِيثَ الْفَضَائِلِ يُتَسَاهَلُ فِيهَا بِرِوَايَةِ الضَّعِيفِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ أَمَّا الْمَكْذُوبُ فَلا يُقْبَلُ فِى الْفَضَائِلِ بِالإِجْمَاعِ.

* وَمِنَ الْمَفَاسِدِ الَّتِى انْتَشَرَتْ وَأَقْبَلَ عَلَى قِرَاءَتِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْعَامَّةِ بَعْضُ الْكُتُبِ الَّتِى أُلِّفَتْ فِى الْمَوْلِدِ النَّبَوِىِّ وَحُشِيَتْ بِالأَحَادِيثِ الْمَكْذُوبَةِ وَالأَخْبَارِ الْمَعْلُولَةِ وَالْغُلُوِّ الْمَذْمُومِ وَالْكَذِبِ عَلَى الدِّينِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ فَيَحْرُمُ رِوَايَةُ تِلْكَ الأَكَاذِيبِ مِنْ غَيْرِ تَبْيِينِ أَمْرِهَا وَيَجِبُ التَّحْذِيرُ مِنْهَا.

وَمِنْ أَشْهَرِ هَذِهِ الْكُتُبِ الْمَدْسُوسَةِ الْكِتَابُ الْمُسَمَّى مَوْلِدَ الْعَرُوسِ وَفِيهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ نُورِ وَجْهِهِ فَقَالَ لَهَا كُونِى مُحَمَّدًا فَكَانَتْ مُحَمَّدًا وَفِى هَذِهِ الْعِبَارَةِ نِسْبَةُ الْجُزْئِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْجُزْئِيَّةِ وَالِانْحِلالِ فَهُوَ لا يَقْبَلُ التَّعَدُّدَ وَالْكَثْرَةَ وَلا التَّجَزُّءَ وَالِانْقِسَامَ وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ لا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ وَلا يُشْبِهُهُ شَىْءٌ مِنْ خَلْقِهِ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [سُورَةَ الشُّورَى/11]. وَحُكْمُ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ مُحَمَّدًا أَوْ غَيْرَهُ جُزْءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى التَّكْفِيرُ قَطْعًا قَالَ تَعَالَى ﴿**وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا**﴾ [سُورَةَ الزُّخْرُف/15]. وَهَذَا الْكِتَابُ لَيْسَ مِنْ تَأْلِيفِ ابْنِ الْجَوْزِىِّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَلْ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ زُورًا وَبُهْتَانًا وَمَا فِى كُتُبِ ابْنِ الْجَوْزِىِّ مِنْ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ وَنَفْىِ التَّجْسِيمِ وَالْجُزْئِيَّةِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مُخَالِفٌ لِمَا فِى هَذَا الْكِتَابِ الْمُفْتَرَى بَلْ إِنَّ رَكَاكَةَ أَلْفَاظِهِ وَضَعْفَ تَرْكِيبِ عِبَارَاتِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ تَأْلِيفِ ابْنِ الْجَوْزِىِّ الْمُحَدِّثِ الْفَقِيهِ الْمُفَسِّرِ الَّذِى أُعْطِىَ بَاعًا قَوِيًّا فِى الْوَعْظِ وَالإِرْشَادِ فَكَانَ إِذَا تَكَلَّمَ حَرَّكَ الْقُلُوبَ حَتَّى إِنَّهُ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ مِائَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُ وَذَلِكَ بِسَبَبِ قُوَّةِ وَعْظِهِ وَحُسْنِ تَعْبِيرِهِ وَفَصَاحَةِ مَنْطِقِهِ فَإِنَّهُ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى جَانِبٍ كَبِيرٍ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَإِتْقَانِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَمْ يَنْسُبْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ إِلَّا الْمُسْتَشْرِقُ بروكلمان.

* وَمِنَ الْمَفَاسِدِ الَّتِى انْتَشَرَتْ بَيْنَ الْعَوَامِّ مَا دَرَجَ عَلَيْهِ بَعْضُ قُرَّاءِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِىِّ وَبَعْضُ الْمُؤَذِّنِينَ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّ مُحَمَّدًا أَوَّلُ الْمَخْلُوقَاتِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِنَشْرِ حَدِيثِ جَابِرٍ الْمَكْذُوبِ «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِهِ قَبْلَ الأَشْيَاءِ» فَهَذَا الْحَدِيثُ لا أَصْلَ لَهُ مَكْذُوبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

أَمَّا مُخَالَفَتُهُ لِلْكِتَابِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ**﴾ [سُورَةَ الأَنْبِيَاء/30] وَقَالَ تَعَالَى ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَىَّ**﴾[سُورَةَ الْكَهْف/110].

وَأَمَّا مُخَالَفَتُهُ لِلأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِىُّ وَالْبَيْهَقِىُّ عَنْ عِمْرَانَ بنِ الْحُصَيْنِ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَىْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**».

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِى وَقَرَّتْ عَيْنِى فَأَنْبِئْنِى عَنْ كُلِّ شَىْءٍ قَالَ «**كُلُّ شَىْءٍ خُلِقَ مِنَ الْمَاءِ**» وَرَوَى السُّدِّىُّ فِى تَفْسِيرِهِ بِأَسَانِيدَ مُتَعَدِّدَةٍ «**إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا مِمَّا خَلَقَ قَبْلَ الْمَاءِ**».

فَفِى الْحَدِيثِ الأَوَّلِ نَصٌّ عَلَى أَنَّ الْمَاءَ وَالْعَرْشَ هُمَا أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَمَّا أَنَّ الْمَاءَ قَبْلَ الْعَرْشِ فَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْحَدِيثَيْنِ التَّالِيَيْنِ.

وَأَمَّا عَزْوُ حَدِيثِ جَابِرٍ لِلْبَيْهَقِىِّ فَغَيْرُ صَحِيحٍ وَأَمَّا نِسْبَتُهُ لِمُصَنَّفِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فَلا وُجُودَ لَهُ فِى مُصَنَّفِهِ وَلا فِى جَامِعِهِ وَلا تَفْسِيرِهِ بَلِ الْمَوْجُودُ فِى تَفْسِيرِهِ عَكْسُ هَذَا فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ أَوَّلَ الْمَخْلُوقَاتِ وُجُودًا الْمَاءُ وَقَالَ الْحَافِظُ السُّيُوطِىُّ فِى الْحَاوِى عَنْ حَدِيثِ جَابِرٍ لَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ اهـ. وَهُوَ حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ جَزْمًا وَقَدْ صَرَّحَ الْحَافِظُ السُّيُوطِىُّ فِى شَرْحِ التِّرْمِذِىِّ أَنَّ حَدِيثَ أَوَّلِيَّةِ النُّورِ الْمُحَمَّدِىِّ لا يَثْبُتُ. وَيَشْهَدُ لِصِحَّةِ حُكْمِهِ عَلَيْهِ بِالْوَضْعِ رَكَاكَةُ أَلْفَاظِهِ فَإِنَّ الرَّسُولَ أَفْصَحُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَقْوَاهُمْ بَلاغَةً فَلا يَتَكَلَّمُ بِالرَّكِيكِ وَقَدْ حَكَمَ الْحَافِظُ الْمُحَدِّثُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بنُ الصِّدِّيقِ الْغُمَارِىُّ عَلَيْهِ بِالْوَضْعِ مُحْتَجًّا بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ رَكِيكٌ وَمَعَانِيهِ مُنْكَرَةٌ، أَقُولُ الأَمْرُ كَمَا قَالَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا هَذِهِ الْعِبَارَةُ «خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِهِ قَبْلَ الأَشْيَاءِ» لَكَفَى ذَلِكَ رَكَاكَةً لِأَنَّهُ مُشْكِلٌ غَايَةَ الإِشْكَالِ لِأَنَّهُ إِنْ حُمِلَ ضَمِيرُ مِنْ نُورِهِ عَلَى مَعْنَى مَخْلُوقٍ لِلَّهِ كَانَ ذَلِكَ نَقِيضُ الْمُدَّعَى لِأَنَّهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ ذَلِكَ النُّورُ هُوَ الأَوَّلُ لَيْسَ نُورَ مُحَمَّدٍ بَلْ نُورُ مُحَمَّدٍ ثَانِى الْمَخْلُوقَاتِ وَإِنْ حُمِلَ عَلَى إِضَافَةِ الْجُزْءِ لِلْكُلِّ كَانَ الأَمْرُ أَفْظَعَ وَأَقْبَحَ لِأَنَّهُ يَكُونُ إِثْبَاتُ نُورٍ هُوَ جُزْءٌ لِلَّهِ تَعَالَى فَيُؤَدِّى ذَلِكَ إِلَى أَنَّ اللَّهَ مُرَكَّبٌ وَالْقَوْلُ بِالتَّرْكِيبِ فِى ذَاتِ اللَّهِ مِنْ أَبْشَعِ الْكُفْرِ لِأَنَّ فِيهِ نِسْبَةُ الْحُدُوثِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَبَعْدَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْمَكْذُوبِ رَكَاكَاتٌ بَشِعَةٌ يَرُدُّهَا الذَّوْقُ السَّلِيمُ وَلا يَقْبَلُهَا.

ثُمَّ هُنَاكَ عِلَّةٌ أُخْرَى وَهِىَ الِاضْطِرَابُ فِى أَلْفَاظِهِ لِأَنَّ بَعْضَ الَّذِينَ أَوْرَدُوهُ فِى مُؤَلَّفَاتِهِمْ رَوَوْهُ بِشَكْلٍ وَءَاخَرُونَ رَوَوْهُ بِشَكْلٍ ءَاخَرَ مُخْتَلِفٍ فِى الْمَعْنَى فَإِذَا نُظِرَ إِلَى لَفْظِ الزَّرْقَانِىِّ ثُمَّ لَفْظِ الصَّاوِىِّ لَظَهَرَ اخْتِلافٌ كَبِيرٌ.

أَمَّا حَدِيثُ «كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِى الْخَلْقِ وَءَاخِرَهُمْ فِى الْبَعْثِ» فَهُوَ ضَعِيفٌ كَمَا نَقَلَ ذَلِكَ الْمُحَدِّثُونَ وَفِيهِ بَقِيَّةُ ابْنُ الْوَلِيدِ وَهُوَ مُدَلِّسٌ وَسَعِيدُ بنُ بَشِيرٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ.

أَمَّا حَدِيثُ «كُنْتُ نَبِيًّا وَءَادَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ» وَ«كُنْتُ نَبِيًّا وَلا ءَادَمَ وَلا مَاءَ وَلا طِينَ» فَلا أَصْلَ لَهُمَا. وَلا حَاجَةَ لِتَأْوِيلِهِمْ فَإِنَّهُ لا حَاجَةَ لِتَأْوِيلِ الآيَةِ أَوِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ لِخَبَرٍ مَوْضُوعٍ لا أَصْلَ لَهُ.

* وَمِنَ الْكَذِبِ الَّذِى انْتَشَرَ فِى بَعْضِ كُتُبِ الْمَوْلِدِ قَوْلُهُمْ لَوْلاكَ لَوْلاكَ مَا خُلِقَتِ الأَفْلاكُ فَقَدَ حَكَمَ عَلَيْهِ الْمُحَدِّثُونَ بِالْوَضْعِ.
* وَكَذَلِكَ مَا رُوِىَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَانَ يَتَلَقَّى الْوَحْىَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكُشِفَ لَهُ الْحِجَابُ مَرَّةً فَوَجَدَ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوحِى إِلَيْهِ فَقَالَ جِبْرِيلُ «مِنْكَ وَإِلَيْكَ» فَهَذَا مِنَ الْكَذِبِ الشَّنِيعِ الْمُخَالِفِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيـمَانُ**﴾[سُورَةَ الشُّورَى/52].
* وَكَذَلِكَ مِنَ الْكَذِبِ مَا رُوِىَ فِى بَعْضِ كُتُبِ الْمَوْلِدِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ سَأَلَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا جِبْرِيلُ كَمْ عَمَّرْتَ مِنَ السِّنِين فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لا أَعْلَمُ غَيْرَ أَنَّ فِى الْحِجَابِ الرَّابِعِ نَجْمًا يَطْلُعُ فِى كُلِّ سَبْعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مَرَّةً رَأَيْتُهُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّة فَقَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِزَّةِ رَبِّى أَنَا ذَلِكَ الْكَوْكَب.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَءَاخِرًا الَّذِى وَفَّقَنَا إِلَى جَمْعِ هَذَا الْكِتَابِ فِى مَوْلِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِىِّ الْعَظِيمِ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى أَفْضَلِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ النَّبِىِّ الْكَرِيمِ.